دراسة بلاغيّة للألفاظ القرآنيّة في "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة

A rhetorical study of Qur'anic words in "Interpretation of the Problem of the Qur'an" by Ibn Qutaybah

د. نوال زلالي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 10.33705/0114-027-004-009 2025

تاريخ الاستلام:29-07-2024-تاريخ القبـول:21-07-2025-تاريخ النّشر: 15-12-2025

ملخّص: تهدف هذه الدّراسة إلى استكشاف وتحليل الوجهة البلاغيّة في استخدام الألفاظ والتّراكيب اللّغويّة في البيان القرآني بناءً على جوانبها الصّوتيّة والدّلاليّة والنّحويّة، بهدف فهم كيفيّة تحقيق البيان الفائق والتّأثير العميق للنص القرآني. فاللّغة في القرآن الكريم ليست مجرد وسيلة توصيل المعاني، بل هي أداة تعبيريّة فريدة تحمل في طياتها الجمال والقوة والرّقي.

ولهذا نتساءل: كيف يتم تحقيق البيان الفائق والتّأثير العميق من خلال استخدام الألفاظ والتّراكيب اللّغويّة في البيان القرآني؟ هذه الاشكاليّة تهدف إلى إبراز كيفيّة تحقيق القدرة البلاغيّة للألفاظ القرآنيّة عبر تفسيرات ابن قتيبة وكيفيّة استخدامها في خدمة تعميق الفهم اللّغويّ والبلاغي للقرآن الكريم.

♥جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، البريد الإلكتروني: n.zellali@univ-bouira.dz (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: البلاغة؛ الألفاظ القرآنيّة؛ البيان القرآني؛ مشكل تأويل القرآن.

Abstract: This study aims to explore and analyze the rhetorical aspect in the use of words and linguistic structures in the Qur'anic statement based on their phonetic, semantic and grammatical aspects, with the aim of understanding how to achieve the superior statement and the profound impact of the Qur'anic text. Through this study, we seek to understand how the Holy Qur'an uses appropriate words and linguistic structures in various Qur'anic contexts and places, and to analyze the linguistic methods used, such as simile, metaphor, metaphor, emphasis, and others, and to study their impact in strengthening the Qur'anic statement and achieving its intended goal. Language in the Holy Qur'an is not just a means of conveying meanings, but rather a unique expressive tool that carries with it beauty, strength and sophistication.

That is why we wonder: How is the superior statement and profound impact achieved through the use of words and linguistic structures in the Qur'anic statement?

Keywords: Rhetoric; Quranic words; Quranic statement; the problem of interpreting the Qur'an.

1. **مقدّمة:** تُعدّ البلاغة القرآنيّة من أبرز جوانب الإعجاز في النّصوص الدّينيّة، حيث يتميّز القرآن الكريم بأسلوبه الفريد الذي يجمع بين جمال التّعبير وعمق المعاني. إنّ دراسة البلاغة في الألفاظ القرآنيّة تمثّل نافذة مهمة لفهم الأبعاد اللّغويّة والرّوحيّة للنصوص القرآنيّة، حيث تُسهم في كشف أسرار البلاغة وتبيين كيفيّة تأثير الألفاظ على المتلقين.

تشكل البلاغة القرآنيّة جزءًا أساسيًا من علوم القرآن الكريم، إذ يتناول الباحثون فيها كيفيّة استخدام اللّغة لتوصيل الرّسائل الدّينيّة بطرق مؤثرة وفعالة.

تتضمن الدّراسة البلاغيّة تحليل أساليب البيان، والمجاز، والتّشبيه، والاستعارة وغيرها من فنون البلاغة التّي تُضفي على النّصوص القرآنيّة جمالًا وإقناعًا.

تسعى دراسة البلاغة في الألفاظ القرآنيّة إلى فهم كيفيّة تأثير الاختيارات اللّغويّة على المعاني والتّفسيرات، وكيفيّة تعبير النّصوص عن القيم والمفاهيم الدّينيّة بأساليب محكمة. كما تعزز هذه الدّراسة من تقدير القارئ لجمال النّصوص القرآنيّة وقدرتها على التّأثير في النّفوس والعقول.

من خلال دراسة البلاغة القرآنيّة، يُمكننا إدراك كيف أن القرآن الكريم لم يُقدَّم كنص ديني فحسب، بل كعمل أدبي يتسم بقدرة غير مسبوقة على جذب الانتباه وتوجيه الفكر. هذه الدّراسة تُعتبر خطوة أساسيّة في فهم عمق النّصوص القرآنيّة وثرائها من النّاحيّة اللّغويّة والفنيّة.

وتكشف هذه الدّراسة أنّ القرآن الكريم يستخدم الكلمات والتّراكيب بشكل متقن لتحقيق أهداف بلاغيّة متعددة، مثل الإيجاز والإطناب التّقديم والتّأخير، الحذف والإضمار، والتّشبيه والاستعارة. كل لفظ وكل تركيب في القرآن ليس مجرد اختيار لغوي عابر، بل هو جزء من منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق تأثير معين على القارئ أو المستمع. فالألفاظ القرآنيّة إحدى الجوانب المهمّة في تحليل بلاغة القرآن، حيث يمكن من خلالها فهم كيفيّة توظيف التّراكيب اللّغويّة لخلق تأثيرات بلاغيّة.

ولهذا نتساءل: كيف يتم تحقيق البيان الفائق والتّأثير العميق من خلال استخدام الألفاظ والتّراكيب اللّغويّة في البيان القرآني؟ هذه الاشكاليّة تهدف إلى إبراز كيفيّة تحقيق القدرة البلاغيّة للألفاظ القرآنيّة عبر تفسيرات ابن قتيبة وكيفيّة استخدامها في خدمة تعميق الفهم اللّغويّ والبلاغي للقرآن الكريم.

يُعد القرآن الكريم، النّص المقدس في الإسلام، قمة البلاغة والفصاحة في اللّغة العربيّة. تتجلى في آياته جماليات لغويّة وبيانيّة لا مثيل لها، ممّا يجعله مادة خصبة لدراسة وتحليل الأساليب البلاغيّة. وقد أولى العلماء والمفسرون

اهتمامًا بالغًا ببيان الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، ومن بين هؤلاء العلماء يأتي ابن قتيبة، الذي قدم في كتابه "تأويل مشكل القرآن" تحليلًا عميقًا للأساليب البلاغيّة المستخدمة في القرآن الكريم.

2. تعريف بالكتاب وأهميته: قبل أن نبدأ في تقديم تحليل لكتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، من الضّروري تعريف بعض المصطلحات الرّئيسيّة الواردة في عنوان الكتاب، مثل "التّأويل" و"المشكل"، وذلك بما يتناسب مع المنهج الذي يتبعه المؤلف.

أ-التّأويل :هو مصدر على وزن "التّفعيل"، ويعود أصله اللّغويّ إلى "أوّل" الذي يعني الرّجوع إلى الأصل. ومن هنا جاءت كلمة "الموئل"، التّي تشير إلى المكان الذي يُرجع إليه. لذا، فإنّ "التّأويل" يعني توضيح الشّيء الذي يُرجع إليه المعنى، أي تفسير الاية وفهم مقصودها.[1] أمّا في السّياق الشّرعي، فإن التّأويل يعني تحويل اللفظ من معناه الظّاهر إلى معنى آخر يحتمله، بشرط أن يتوافق هذا المعنى مع ما جاء في الكتاب والسّنة[2].

ب-المشكل :كلمة "المشكل" تأتي على وزن "مُفْعِل"، وهي مأخوذة من الجذر اللّغويّ "ش، ك، ل"، الذي يعني في الأصل الشّبه والتّشابه بين شيئين[3] ممّا قد يؤدي إلى حدوث لبس أو التّباس أحياناً. في سياق القرآن الكريم، يشير "المشكل" إلى الآيات التّي قد تكون غامضة أو غير واضحة بسبب التّشابه بين معانيها أو الألفاظ المستخدمة، ممّا يتطلّب تفسيراً دقيقاً لفهم معناها الحقيقي

وبناءً على ذلك، فإنّ "تأويل مشكل القرآن" يتناول تفسير الآيات التّي قد تبدو صعبة أو غامضة، من خلال تقديم تفسير يساعد على فهم المعاني الحقيقيّة للنصوص القرآنيّة وإزالة أي لبس قد يكون موجوداً فيها.

تميز ابن قتيبة، العالم اللّغويّ والأديب، بفهم عميق ودقيق للغة العربيّة وصف الأستاذ أحمد أمين ابن قتيبة بامتلاك ثقافة واسعة النّطاق، مشيرًا إلى تنوّعها وشمولها لمجالات متعددة، سواء كانت علميّة أو شرعيّة دينيّة. وقد

أشار إلى أنّ هذا التّنوع الثّقافي يرجع إلى أصوله الفارسيّة، ممّا يبرز جليًّا في امتزاج وتداخل الثّقافات التّي يمثلها.[4]

جمع ابن قتيبة بين علمه الواسع وتجربته الشّخصيّة ليقدم إسهامًا كبيرًا في فهم وتفسير النّصوص القرآنيّة، ممّا جعله أحد أعمدة الدّراسات البلاغيّة في عصره. كتابه "تأويل مشكل القرآن" خلال القرن الثّالثّ الهجري، ليس فقط موسوعة علميّة بل أيضًا مثالًا على قدرته على تجاوز تحديات اللّغة والبلاغة بطرق مبتكرة. بفضل خلفيته العلميّة الرّائدة وأسلوبه الفريد، أظهر ابن قتيبة مهارة في تحليل النّصوص التّي مكنته من التّأثير بعمق في مجالات البلاغة والتّفسير.

قال عنه الجاحظ، وهو شيخه: إنّ له في ذلك شأنًا، مشيرًا إلى براعته وتميزه في مجال التّأليف. وقد كانت طريقة ابن قتيبة في التّأليف تعكس الأسس الرّاسخة لتكوينه العلمي. هو أبو محمد عبد الله بن مسلم الدّينوري، وُلد في الكوفة عام 213 هـ .[5]

كان أحد العلماء والأدباء البارزين، معروفاً بذكائه وذاكرته الفذة، وامتاز بالإلمام العميق باللّغة والأدب والأخبار وأيام النّاس. كان دقيقاً وصادقاً في روايته، عالماً بتفاصيل القرآن الكريم ومعانيه، وفهم غريب الحديث ومراميه بالإضافة إلى دقائقه ومغازيه. تميز باستقلال الفكر وجرأته في قول الحق وكان من أوائل من تجرأ على النّقد الأدبي بشجاعة.[6]

أشار الدّكتور أحمد محمد نايل أيضاً إلى أن كتاب 'تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة يمثل مرجعًا قيمًا يسهم في توضيح الجوانب الدّقيقة والمتقدمة في النّصوص القرآنيّة. بفضل المنهجيّة التّي اتبعها ابن قتيبة في شرح الأبواب وتحليلها، يُظهر الكتاب كيف أنّ الفكر الإسلامي كان يواكب التّحديات الفكريّة والتّجديدات الأدبيّة في ذلك العصر. لذا، يُعتبر الكتاب شاهداً على التّقدم

العلمي والثّقافي الذي تحقق في تلك الفترة، ويعزز من فهمنا للإسهامات الكبيرة التّي قدّمها العلماء في تطوير الفكر الإسلامي.[7]

تناول ابن قتيبة في هذا الكتاب الظّواهر اللّغويّة التّي قد تبدو مشكِلة أو غير مألوفة، موضحًا أبعادها البلاغيّة والنّحويّة، ومستعرضًا كيفيّة استخدام القرآن لهذه الأساليب لتحقيق مقاصده ببلاغة فائقة.

يعد كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة أحد الكتب المهمّة في التّراث الإسلامي، يتناول فيه ابن قتيبة تفسير المشكلات اللّغويّة والبيانيّة التّي قد تواجه القارئ عند تدبر القرآن الكريم. الغرض من تأليف هذا الكتاب يمكن تلخيصه في عدة نقاط رئيسيّة:

✓ يسعى ابن قتيبة إلى تفسير وتوضيح الآيات التّي قد تبدو غامضة أو معقدة من النّاحيّة اللّغويّة أو البلاغيّة. يقدم تفسيرات تزيل الإشكال وتوضح المعنى المقصود.

✓ يهدف إلى الرّد على الشّبهات والانتقادات التّي وجهت إلى القرآن من قبل بعض الفرق والاتجاهات الفكريّة في عصره. يعمل على إظهار بطلان هذه الشّبهات من خلال الشّرح اللّغويّ والبلاغي للآيات.

✓ يوضح ابن قتيبة كيف أن القرآن يستخدم أساليب لغويّة وبلاغيّة للتعبير عن معانٍ عميقة ودقيقة. يظهر الكتاب جوانب من الإعجاز البلاغي للقرآن التّي تثبت أنه نص إلهي متميز.

✓ يسعى ابن قتيبة إلى إبراز فصاحة اللّغة العربيّة وقدرتها على التّعبير عن أدق المعاني وأعمقها. يوضح كيف أن القرآن يستخدم اللّغة بطريقة متفردة.

✓ يقدم ابن قتيبة في كتابه منهجيّة في تفسير القرآن تعتمد على الفهم الدّقيق للغة والنّحو والبلاغة. يهدف إلى تعليم القارئ كيفيّة التّعامل مع النّص القرآني وتفسيره بشكل صحيح.

✓ يبرز ابن قتيبة كيف أنّ القرآن الكريم نص متكامل، تتوافق أجزاؤه مع بعضها البعض وتدعم بعضها البعض في تحقيق المعاني والمقاصد.

✓ يعكس الكتاب تفاعل ابن قتيبة مع التّراث اللّغويّ والبلاغي للعرب ويظهر مدى تأثره بالشّعر العربي والنّثر الجاهلي، وكيفيّة توظيف هذا التّراث في تفسير القرآن الكريم.

✓ يسعى الكتاب إلى تعزيز إيمان المسلمين بالقرآن وتقويّة عقيدتهم من خلال فهم أعمق وأوضح للنصوص القرآنيّة، الأمر الذي حمله على تأويل بعض آيات القرآن الكريم، وشرح في ضوئها ما ذهب إليه من غلب عندهم الحمل على الحقيقة دون المجاز، ليعود بشواهدهم إلى دائرة المجاز، فينفي ما قالوا جملة ويستشهد على صحة مذهبه باستعمال العرب لألفاظ متداولة وعبارات لا يمكن أخذها إلا على أنّها مجاز.

وتعني كلمة المجاز عند ابن قتيبة طرق القول والمذاهب التّي نزل القرآن بها وقد عرض لهذه المذاهب، فيشير بذلك إلى مباحث مصنفه يقول: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومأخذه ففيها: الاستعارة والتّمثيل والقلب، والتّقديم والتّأخير، والحذف والتّكرار، والإخفاء والإظهار، والتّعريض والإفصاح والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص"[8] من هنا نلمح أنّ المجاز يعني طرق وأساليب القرآن اللّغويّة في التّعبير، وهو ما يشاكل ما ذهب إليه ابن قتيبة بقوله وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول ومأخذه فيها، فالمجاز هو استعمال اللفظ في غير موضعه الحقيقي لغرض التّشبيه أو التّعبير عن معنى معين بشكل مجازي. يكون المجاز مبنيًا على تشابه المعنى بين اللفظ المجاز واللفظ المستعمل في موضعه الحقيقي.

3. تحليل الألفاظ القرآنيّة في ضوء "تأويل مشكل القرآن": يعتبر ابن قتيبة من أوائل العلماء الذين قاموا بدراسات شاملة وعميقة للأسلوب القرآني، حيث دمج بين الدّراسات اللّغويّة للأسلوب القرآني والدّراسات البيانيّة لتحليل وفهم القرآن الكريم. وقد برزت جهوده في هذا المجال من خلال كتابه "تأويل مشكل القرآن".

تمثلت الأولى في حديثه عن مباحث لغويّة مثال ذلك، الحذف والإضمار في القرآن الكريم، وهما من الأساليب البلاغيّة واللّغويّة التّي تميز النّص القرآني وتظهر جمالياته وعمقه اللّغويّ. الحذف والإضمار هما وسيلتان لغويتان تُستخدمان لتكثيف المعنى وتجنب التّكرار والإطالة، ممّا يضفي على النّص إيجازًا وبلاغة. فالحذف هو إسقاط جزء من الجملة يمكن استدراكه أو فهمه من السّياق. ابن قتيبة يعرض أمثلة على الحذف في القرآن، ويشرح كيفيّة فهم المعنى المقصود بالرّغم من غياب بعض الكلمات. يستخدم الحذف في القرآن بطرق مختلفة من ذلك:

أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه وتجعل الفعل له:[9] كقوله تعالى:﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ يوسف:82 أي: سل أهلها. وقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ البقرة:197 أي وقت الحجّ، فالملاحظ في الآيتين أنّ المحذوف يكون من حيث الموقع الإعرابي مضافا أهل القريّة وقت الحج والنّائب عنه مضافا إليه، ويعمل الفعل فيهن فنقول: واسأل القريّة بدل واسأل أهل القريّة.

- تُوقع الفعل على شيئين وهو لأحدهما وتضمر للآخر فعله:[10] هذا يعني أنه يستخدم الألفاظ بطريقة تدل على شيء وتلمح إلى آخر بدون ذكره بشكل صريح، استنادًا إلى فهمه للسياق والمفردات القرآنيّة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨﴾ الواقعة:17، و18 ثم قال:﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ الواقعة:20-21، يرى ابن قتيبة هنا أنّ المراد بـ "فاكهة ممّا يتخيرون" و"لحم طير ممّا يشتهون" هو توضيح لما سبق، وليس فعلاً يطاف بهم، بينما الحور العين لا يطاف بهم أيضًا، وهذا يعكس استخدامًا مبدعًا للبلاغة لتحقيق التّأثير البلاغي والتّفاعل الفكري مع النّص القرآني.

أن يأتي الكلام مبنيا على أنّ له جوابا، فيحذف الجواب اختصارًا لعلم المخاطب به.[11] ومنه قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ٩﴾ (الزّمر:9) فيرى ابن قتيبة أنّه لم يذكر الذي هو ضدّه؛ لأنّه قال:﴿ قُل هَلۡ يَسۡتَوِي الذين يَعْلَمُون والذينَ لاَ يَعْلَمُون﴾ دليلا على ما أراد.

يركز ابن قتيبة على كيفيّة اختصار النّص بالإشارة إلى القانتين آناء الليل والنّهار دون ذكر النّقيض مباشرة، ممّا يوحي بالمقارنة المعنويّة بين العارفين والجاهلين، وهذا يعكس استخدامه للبلاغة في التّعبير عن الأفكار والمعاني بطريقة مشوقة ومعبرة. استخدامه لهذا النّوع من الاختصار لتبسيط فهم النّص وتسهيل استيعاب القارئ للمعاني العميقة التّي يريد توصيلها من خلال تفسيراته البلاغيّة واللّغويّة.

وعالج ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بعض الظّواهر اللّغويّة التّي قد تبدو غير مألوفة أو مشكِلة، ومن بين هذه الظّواهر دخول بعض حروف الصّفات مكان بعض.[12] هذا الأسلوب له جذور في اللّغة العربيّة ويستخدم لأغراض بلاغيّة أو نحويّة، وهو ما يعكس ثراء اللّغة ومرونتها.

أمثلة على دخول بعض الحروف مكان بعض:

1-"في" مكان "على"، وهو استخدام يظهر في بعض السّياقات اللّغويّة، في قوله تعالى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ ٧١﴾ طه:71، يمكن تفسير "فِي"

بمعنى "عَلَى". أي: ولأصلبنكم على جذوع النّخل.[13]يظهر ابن قتيبة كيف يمكن أن تتبادل الحروف في اللّغة لتحقيق نفس المعنى ممّا يعكس مرونة وتنوع اللّغة العربيّة. هذه الظّاهرة تبرز في النّصوص القرآنيّة والشّعريّة، وتعزز فهمنا للأدب العربي الكلاسيكي والنّصوص الدّينيّة.

2-"الباء" مكان "عن". هذا التّبادل يظهر في بعض السّياقات اللّغويّة، نحو قوله تعالى:﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان:59، يمكن تفسير "بِهِ" بمعنى "عَنْهُ"؛ أي: فاسأل عنه خبيرًا.[14]يظهر ابن قتيبة كيفيّة استخدام حرف "الباء" بدلاً من "عن" لتحقيق نفس المعنى، مما يعكس مرونة وتنوّع اللّغة العربيّة. فهم هذه الظّواهر يساعد في تفسير النّصوص بشكل أدق وأكثر دقة، ويعزز فهمنا للنصوص القرآنيّة وحتى الشّعريّة.

3-"الباء" مكان "من". في هذه الحالة، تُستخدم "الباء" لتشير إلى المعنى الذي يُفهم عادةً من استخدام "من". ومنه قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (المطففين:28) يمكن تفسير "بِهَا" بمعنى "مِنْهَا". أي أنّ المعنى المقصود هو أنّ المقرّبين يشربون من هذه العين.[15]

تظهر هذه الظّاهرة في عدة مواضع في القرآن وتبرز كيفيّة تبادل الحروف والمعاني في اللّغة العربيّة، مما يعكس التّنوع الغني لهذه اللّغة ويساعد في فهم أعمق للنصوص القرآنيّة.

تبادل الحروف بهذا الشّكل يظهر بوضوح في اللّغة القرآنيّة، وهذا يؤكد على أهميّة دراسة هذه الظّواهر اللّغويّة لفهم النّصوص بشكل أكثر دقة ولتجنب سوء الفهم أو التّفسير الخاطئ.

4-"عن" مكان "من". هذا الاستخدام يظهر في القرآن الكريم وفي اللّغة العربيّة بصفة عامة، حيث تُستخدم "عن" لتعني "من" في بعض السّياقات. ومنه قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴿٢٥﴾ ﴾ الشّورى: 25، يمكن فهم "عَنْ"

بمعنى "مِنْ"، أي أنّ الله يقبل التّوبة من عباده. هذا الاستخدام يُظهر كيف يمكن أن تتبادل الحروف في اللّغة لتوصيل نفس المعنى بطرق مختلفة.[16]

ونحو قولك: أخذت هذا عنك. يمكن أن تعني أخذت هذا منك؛ حيث تُستخدم "عن" بمعنى "من". هذه الأمثلة توضح كيفيّة استخدام الحروف بطرق مختلفة لتحقيق نفس المعنى، ممّا يعكس تنوع ومرونة اللّغة العربيّة. فهم هذه الظّواهر يساعد في تفسير النّصوص بشكل أكثر دقة وعمق ويساعد على تجنب سوء الفهم أو التّفسير الخاطئ.

"الباء" مكان "اللام".[17] والعكس. هذه الظّاهرة تبرز مرونة اللّغة العربيّة وقدرتها على التّعبير عن المعاني بطرق مختلفة. ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴿٣٩﴾ ﴾ الدّخان:39، يمكن تفسير "بِالْحَقِّ" بمعنى "لِلْحَقِّ". أي أنّ الله خلق السّماوات والأرض للحق وبه. تُظهر هذه الظّاهرة كيف يمكن للحروف أن تتبادل الأماكن بطرق تبرز مرونة وغنى اللّغة العربيّة، ممّا يعزز فهم النّصوص القرآنيّة، دون تغيير المعنى الأساسي للنص. فهم هذه الاستخدامات المختلفة يساعد في التّفسير الصّحيح للنصوص القرآنيّة وتجنب سوء الفهم.

"اللام" مكان "إلى".[18]هذا التّبادل يظهر في بعض السّياقات اللّغويّة بطرق تبرز مرونة وغنى اللّغة العربيّة، مما يعزز فهم النّصوص القرآنيّة ويعمق إدراكنا للغة العربيّة، نحو قوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾ (الزّلزلة 5) يمكن تفسير "لَهَا" بمعنى "إِلَيْهَا". أي: أوحى إليها.

هذه الظّاهرة تسلط الضّوء على بلاغة القرآن وإعجازه اللّغويّ، حيث يستخدم أساليب لغويّة معقدة لتحقيق معاني دقيقة بأسلوب بليغ. إنّ تحليل ابن قتيبة لدخول بعض الحروف مكان بعض في "تأويل مشكل القرآن" يعكس عمق فهمه للغة العربيّة وبلاغتها. من خلال هذه الظّاهرة، يظهر كيف أن القرآن يستخدم

أساليب لغويّة متنوعة لتحقيق الدّقة البلاغيّة والجماليّة. هذه الدّراسة تساعد في تقدير الثّروة اللّغويّة للقرآن وتعزز فهم النّصوص القرآنيّة بشكل أعمق.

أمّا الدّراسات البيانيّة للأسلوب القرآني، فنجد ابن قتيبة من بين العلماء الذين برزوا في تحليل الصّور البيانيّة في القرآن الكريم. من خلال كتابه "تأويل مشكل القرآن"، بل وعقد لكل منها بابا، قدّم تحليلات دقيقة وشاملة لمختلف الأساليب البلاغيّة المستخدمة في القرآن، ممّا أسهم في فهم أعمق وأدق للمعاني والأغراض البلاغيّة للنص القرآني.

وفي سياق الاستعارة في اللّغة العربيّة، يقول ابن قتيبة إنّ العرب تستعير الكلمات وتستخدمها بشكل مجازي بناءً على علاقة أو تشابه بين المسمى واللفظ المستخدم. فالأمر يتعلق باستخدام كلمة ما لتدل على شيء آخر بسبب علاقة بينهما، سواء كانت علاقة بسبب، أم مجاورة، أم مشابه، فيقول للنبات نوء لأنّه يكون من النّوء عندهم.[19] والمقصود من ذلك أنّ العربي يستخدم كلمة "نوء" للإشارة إلى النّبات لأنّ هناك علاقة تشابه أو مجاورة بين النّبتة وفترة النّوء. النّوء في اللّغة العربيّة هو المطر الذي يأتي بعد فترة معينة، والنّبات يتأثر بفصول السّنة والمطر، لذا تأتي استعارة كلمة "نوء" لتشير إلى النّبات.

تعكس هذه الظّاهرة كيفيّة استفادة اللّغة العربيّة من الاستعارات لتوسيع معاني الكلمات وإضفاء أبعاد جديدة على النّصوص، مما يضيف ثراءً وتنوعاً في التّعبير. الاستعارة تسمح بتوصيل الأفكار والمفاهيم بطرق أكثر إبداعاً وتأثيراً، وتكشف عن عمق التّفكير الإبداعي في اللّغة العربيّة. فإذا برر ابن قتيبة سبب النّقل الدّلالي للكلمة، الذي يقوم على سبب التّجاور، التّشاكل فما أمثلة ذلك في كتاب الله؟

أوضح ابن قتيبة في كتابه كيفيّة توظيف الاستعارة لإضفاء طابع جمالي على النّص القرآني، مما يساعد على جذب انتباه القارئ وإثراء تجربته القرائيّة. كما بيّن أن الاستعارة ليست مجرد أداة بلاغيّة، بل هي وسيلة لتجسيد المفاهيم

المجردة وتقديمها بصورة حسيّة، ممّا يسهل فهم المعاني العميقة التّي يحملها القرآن الكريم. من خلال تحليلاته، أظهر ابن قتيبة براعته في تفسير الاستعارة وفهمه العميق للأدوات البلاغيّة التّي تسهم في تجسيد الرّسالة الإلهيّة بطريقة بليغة ومؤثرة. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ (إبراهيم43) "يريد أنّها لا تعي خيرا، لأنّ المكان إذا كان خاليا فهو هواء حتى يشغله الشّيء".[20]

يوضّح ابن قتيبة، في تفسيره، أنّ هذا التّعبير يعكس أنّ المكان عندما يكون خالياً، يُطلق عليه وصف "هواء" لأنّه ليس به شيء يملأه. وبالمثل، فإنّ قلوب هؤلاء الأشخاص خاليّة من الإيمان والوعي، ممّا يجعلها غير قادرة على استيعاب الحقائق والرّسائل الإلهيّة. هذا الاستخدام المجازي يعزز فهمنا لكيفيّة وصف حالة القلوب الفارغة والغير مستعدة لاستقبال الخير أو الهداية.

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأنعام:122 أي كان كافرا فهديناه وجعلنا له إيمانا يهتدي به سبل الخير والنّجاة، ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ (الأنعام 122) أي في الكفر.[21] حيث يوضح التّشاكل والتّناسب بين المستعار "له" والمستعار "منه" بشكل جميل في السّياق الدّيني. إذ تعبر الاية عن فكرة الهداية والضّلال، حيث يتم استعارة الموت كمفهوم للكفر والحياة كمفهوم للهداية والإيمان، والنّور كمفهوم للإيمان والتّوجيه الإلهي.

- المستعار "له": الموت والظّلمات هنا يمثلان الكفر والضّلال، حيث يكون الإنسان في حالة عدم الإيمان والضّلال قبل الهداية.
- المستعار "منه": الحياة والنّور تشيران إلى الهداية والإيمان، حيث يجسدان الطّريق إلى النّجاة والتّوجيه الإلهي.

عندما تحدث التّوبة والهداية، فإنّ المستعار "له" يتحوّل إلى المستعار "منه". يتمثل هذا في التّغيير من الكفر إلى الإيمان، ومن الظّلمات إلى النّور، ومن

حالة الضّلال إلى حالة الهداية والتّوجيه؛ هذا التّفسير يظهر التّشاكل والتّناسب بين المستعار "له" والمستعار "منه" بشكل مثالي، حيث تتناغم الاستعارة مع المفهوم الرّوحاني للهداية والضّلال في الإسلام.

وضح ابن قتيبة، في تفسيره، كيف أنّ هذه الصّورة المجازيّة تُعَبِّر عن الفرق الكبير بين حالة الإنسان قبل الإيمان وبعده، حيث أنّ التّغيير من "الميت" إلى "الحي" و"الظّلام" إلى "النّور" يعكس التّحول الجوهري الذي يحدث بفضل الهداية الإلهيّة. ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾المدثر:4، أي طهر نفسك من الذّنوب، فكنى عن الجسم بالثّياب، لأنّها تشتمل عليه.[22]

يكون التّجاور بين الثّياب والبدن سببا في استعارة الثّياب وذكرها بدل البدن.

- المستعار "له": الثّياب تمثل هنا الطّهارة الرّوحيّة والنّقاء، والتّي يمكن أن تُستعار لها الطّهارة الجسديّة.
- المستعار "منه": البدن الذي يغطيه الثّوب، يمثل الجانب الظّاهري والمادي لكن المغزى هو الطّهارة الرّوحيّة التّي تحملها النّفس.التّجاور بين الثّياب والبدن هو تمثيل للطهارة الرّوحيّة التّي يجب أن يسعى الإنسان لتحقيقها فعندما يكون الشّخص يرتدي ثيابا نظيفة، يُشجع على تطهير النّفس من الذّنوب والشّوائب.

يظهر التّشاكل والتّناسب بين المستعار "له" والمستعار "منه" بوضوح، حيث تستخدم الثّياب كرمز للطهارة الرّوحيّة، ويتم استعارة هذا الرّمز لتحقيق النّقاء الرّوحي وتطهير الذّنوب والشّوائب من النّفس.

وضح ابن قتيبة أن "فطهّر" تشير إلى ضرورة تطهير النّفس والرّوح من المعاصي والنّجاسات المعنويّة. كما يعبر هذا الأمر عن أهميّة أن يكون الشّخص الذي يحمل رسالة عظيمة مثل رسالة النّبوة طاهرًا من الدّاخل والخارج ليكون قدوة صالحة للآخرين. إذًا، الاية تستخدم مفهوم الطّهارة كرمز للنقاء

الأخلاقي والرّوحي، ممّا يعزز فهمنا لضرورة أن يكون المؤمنون، وخصوصًا من يتولون مسؤوليات دينيّة أو قياديّة، في حالة من الطّهارة والنّقاء الكامل.

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾(الشّعراء،84) أي ذكرا حسنا فاللسان يوضع موضع القول، لأنّ القول يكون بها.[23]

- المستعار "له": اللسان هنا يمثّل الكلام والتّعبير، ويوضع في موضع الصّدق والذّكر الحسن.
- المستعار "منه": الآخرين الذين يستمعون ويتأثرون بالكلام والتّعبير الذي يأتي من اللسان.

فعندما يُستعار اللسان للصدق والذّكر الحسن، ينعكس هذا في التّأثير الإيجابي على الآخرين، حيث يصبح اللسان وسيلة لنقل الخير والإيجابيّة والتّوجيه الحكيم. وضع اللسان موضع القول يعكس أهميّة الكلمة والتّعبير في الإسهام في تشكيل الثّقافة والتّأثير على الآخرين بالطّريقة الإيجابيّة.

بيّن ابن قتيبة أنّ "اللسان" هنا يُستعمل مجازًا لوصف تأثير القول؛ حيث يُعتبر أنّ القول والسّمعة الحسنين يتحققان من خلال الأعمال الطّيبة والشّخصيّة النّقيّة، وهذا ما طلبه إبراهيم عليه السّلام من الله تعالى. فالآية تعكس أهميّة أن يُخلَّف الإنسان ذكرًا طيبًا يتذكره النّاس بالخير، وهذا يتحقق من خلال الطّاعة والعمل الصّالح، وهو ما يعبر عنه "اللسان" كمجموعة من الأقوال والأفعال التّي تصب في بناء سمعة طيبة.

وعقد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن بابا للكناية والتّعريض[24] دون أن يبين العلاقة بينهما، كجزء من الأدوات البلاغيّة التّي تجعل النّص القرآني غنيًا ومعبرًا. الكناية تسهم في تعميق المعنى وتجعل النّص مفتوحًا للتأويل بينما التّعريض يزيد من جاذبيّة النّص وقوته التّأثيريّة. كلا الأسلوبين يستخدمان بشكل متقن في القرآن الكريم لتحقيق أغراض بلاغيّة متعددة ولإيصال المعاني بأكثر الطّرق تأثيرًا وإيجازًا.

إذ لم يعتبرها آليّة من خلالها يتم تجنب الألفاظ والتّعابير النّابيّة التّي لا تتوافق والمواضعات الاجتماعيّة المتفق عليها، لتعبر عنده عن أسماء الأشخاص فيكنى عليهم وذلك للتعظيم؛ لأنها تدل على الحنكة أو الاكتمال. ومن الكناية قوله عزّ وجل: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ (الفرقان،28)، فقد كنى بـ (فلان) يعنى (عمر) رضي الله عنه.[25]

أمّا التّعريض الذي هو: "لفظ دال على الشّيء من طريق المفهوم لا من طريق الوضع اللّغويّ ولا المجازي، وذلك كتعريضك بالطّلب لمن تتوقع عطاءه بدون الطّلب المباشر الصّريح في قولك له: أنا مريض ولست أملك ثمن الدّواء".[26] فقد أشار ابن قتيبة "أنّ العرب تستعمله في كلامها كثيرا، فتبلغ إرادتها بوجه هو الطّف وأحسن من الكشف والتّصريح".[27] وقد جاء في القرآن التّعريض، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ ﴾ (الصّافات:89)، أي سأسقم لأنّ من كتب عليه الموت فلا بد من أن يسقم، فأوهم إبراهيم بمعارض الكلام أنّه سقيم عليل، ولم يكن سقيما ولا كاذبا[28]، في هذا السّياق، يوضح ابن قتيبة كيفيّة استخدام الأساليب البلاغيّة، مثل التّعريض، في القرآن الكريم لتوجيه الرّسائل بشكل غير مباشر ولكن بطريقة مؤثرة وأحيانًا أكثر فعاليّة من التّصريح المباشر. في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١﴾ (الأحزاب:1)، يوضّح أنّ الخطاب، وإن كان موجهًا إلى النّبي محمد صلّى الله عليه وسلّم، فإنّ له أهدافًا وأغراضًا أعمق تتجاوز الشّخص المستهدف بالخطاب الظّاهري. الله سبحانه وتعالى يعلم أن رسوله مهتدي وأن المخالفين ضالون. ولكن استخدام التّعريض هنا يكون لتبيين الموقف بوضوح. والمقصود هو توجيه تحذير للمؤمنين من خطر اتباع هؤلاء الفئات، يشير ابن قتيبة إلى أنّ هذا الأسلوب أكثر لياقة وأدبًا من التّصريح المباشر، ويمكن أن يكون له تأثير أعمق في توصيل الرّسالة.

ومنه قوله عزّ وجل: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ (سبأ:24)، هنا يتم استخدام التّعريض للقول إنّ أحد الطّرفين إمّا على هدى أو في ضلال، الله يعلم أنّ رسوله على هدى ومخالفيه في ضلال وهذا كما تقول للرجل يُكذبك ويخالفك: إنّ أحدنا لكاذب. وأنت تَعنيه، فكذبته من وجه أحسن من التّصريح،[29] والتّعبير بهذه الأسلوب يكون أكثر بلاغة وأدبًا.

نلاحظ من خلال الأمثلة أنّ المعنى المقصود لا يوجد في التّركيب اللّغويّ إنّما يفهم من جانبه، وهذا لا يتأتى إلاّ إذا كان المتلقي فطنا، ويبرز ابن قتيبة أنّ القرآن الكريم يستخدم أسلوب التّعريض كوسيلة بلاغيّة فعالة لتوجيه الرّسائل بطريقة لطيفة ولكن مؤثرة. هذا الأسلوب يعكس حكمة الله في تعليم وتوجيه النّاس بطرق تحفظ لهم كرامتهم وتدفعهم للتفكر والتّأمل في الحقائق المقدّمة لهم.

وقد أشار ابن قتيبة بالإضافة إلى ذلك إلى قضيّة المجاز في القرآن الكريم يوضّح أنّ بعض تعابير القرآن ليست على ظاهرها الحرفي، وإنّما تُستخدم على وجه المجاز بطرق متنوعة لتحقيق أغراض بلاغيّة. ويبين أنّ المجاز ليس قولًا ولا كلامًا على الحقيقة، وإنّما هو وسيلة بلاغيّة تُستخدم لإيصال المعاني بطرق غير مباشرة[30]، لكنّه يظل متجذرًا في سياق اللّغة وفهمها. كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ٣٠﴾ (ق: 30) والملاحظ أنّه ليس هناك قول حقيقي من الله إلى جهنم أو من جهنم. وهنا العبارة مجازيّة وتعبير عن سعة جهنم واستيعابها للمزيد من الكافرين والعصاة.

ومنه قوله تعالى: ﴿ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ (المعارج:17) والملاحظ أنّه ليس هناك دعاء حقيقي من جهنم لمن أدبر وتولى. فالمراد أنّ مصير من أدبر وتولى هو إلى جهنم، وكأنّها تدعوهم إليها بسبب أفعالهم. فالمجاز في القرآن

الكريم عند ابن قتيبة هو أداة بلاغيّة تهدف إلى تقديم المعاني بطريقة مؤثرة وعميقة، ممّا يجعل النّصوص القرآنيّة غنيّة ودقيقة في تعبيرها ومعانيها.

كما تناول ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" موضوع التّقديم والتّأخير في الأسلوب القرآني كجزء من باب المقلوب[31]، موضّحًا كيف أنّ هذا الأسلوب البلاغي يُستخدم لأغراض معينة، منها التّركيز على معانٍ محددة أو تحقيق بلاغة وجماليّة في التّعبير بطرق غير اعتياديّة لإبراز معاني معينة أو لتجنب اللبس. كقوله سبحانه وتعالى:﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ (إبراهيم:47) أي مخلف رسله وَعْدَه. فالتّقديم والتّأخير هنا يركز على مفهوم أنّ الله لا يخلف وعده للرسل، سواء أكان الوعد هو الموعود به أم الرّسل هم المخلفين. وقد يكون هناك لبس إذا قيل "مخلف رسله وعده" بأنّ الله قد يخلف وعده فقط للرسل وليس بصفة عامة؛ أي ترتيب الكلمات بطرق تزيل أي لبس قد ينشأ من التّرتيب المعتاد[32]. فالتّقديم والتّأخير يُضفي رونقًا وجمالًا على الجملة، ممّا يجعلها أكثر تأثيرًا في النّفس.

ويضرب ابن قتيبة مثالًا بالخوف، حيث يقول "إذ الوعل أخوف من الإنسان وليس العكس." فالعبارة التّقليديّة تكون بأنّ الإنسان يخاف من الوعل، ولكن التّقديم والتّأخير يُستخدم هنا لإظهار أنّ الوعل في حقيقته أكثر خوفًا من الإنسان، مما يعكس عمق الحالة النّفسيّة للطرفين.

ابن قتيبة من خلال تناوله للتقديم والتّأخير يبرز كيف أنّ القرآن الكريم يستخدم هذه الأداة البلاغيّة لتحقيق أغراض متعددة، منها التّركيز على معانٍ معينة وتأكيدها، وتحقيق الجماليّة البلاغيّة يجعلها أكثر تأثيرًا، في تحقيق تناسق وإيقاع بلاغي في النّصوص، ممّا يسهّل حفظها وفهمها.وتجنب اللبس، ممّا يجعل النّص القرآني ثريًا ودقيقًا في معانيه وتعابيره.

وهذا كله تستعمله العرب، لأغراض معينة يريد السّامع أن يبلغها من وراء التّقديم والتّأخير، وهو ما سعت إليه الدّراسات البلاغيّة المتقدمة، بحيث حاولت الوقوف على هذا النّوع من الأسلوب.

وقد تعرض ابن قتيبة- كسابقيه- إلى الأغراض البلاغيّة التّي تخرج إليها بعض الأساليب الإنشائيّة، مثل الأمر، والاستفهام، لقد بين كيف أنّ هذه الأساليب تحمل في طياتها أغراضًا بلاغيّة تتجاوز المعنى الظّاهري، لتؤدي أدوارًا معينة في توصيل الرّسالة الإلهيّة بفعاليّة. من الأمثلة التّي تناولها ابن قتيبة، أن يأتي الكلام على مذهب الاستفهام وهو تقرير، قوله تعالى: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (القصص:65)، فظاهر القول إنّه استفهام إلاّ أنّه خرج إلى غرض تقرير الحقائق وتثبيتها في أذهان المخاطبين[33]. وهو الغرض نفسه من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴿٤٢﴾﴾ (الأنبياء:42) إذ أريد تقرير نعم الله على العباد وتذكيرهم بها، ممّا يساعد في تعزيز الشّعور بالشّكر والتّقدير لله، وليس مجرد سؤال.

ومنه قوله عزّ وجل:﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾ (النّبأ:1-2) فظاهر القول أنّه استفهام إلاّ أنّه خرج إلى غرض تقرير أمر البعث وإظهار أهميّة البعث والقيامة، ممّا يعزز الوعي الدّيني. وقوله تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾ المرسلات:12) على التّعجب، ثم قال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾(المرسلات:13) فظاهر القول أنّه استفهام إلاّ أنّه خرج إلى غرض التّعجب من هول يوم القيامة والتّأكيد على أهميّة يوم الفصل يعكس مدى رهبة هذا اليوم وعظمته، ممّا يجعل القارئ يتوقف ويتأمل في معاني الآيات

ومنه أن يأتي الكلام على لفظ الأمر وهو تهديد، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴿٤٠﴾﴾ (فصلت:40)، وهو تهديد للكافرين، لا أمرهم وتخييرهم. وأن يأتي

على لفظ الأمر والغرض التّأديب، نحو قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾(النّساء:34) فالغرض من وراء أمر الله تأديب نساء المؤمنين. وأن يأتي لفظ الأمر وهو إباحة في قوله تعالى:﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ ﴾ (النّور:33). هذه بعض الأغراض التّي تخرج إليها الأساليب الإنشائيّة، والتّي يكون للسياق والظّروف المحيطة بالخطاب دورا في التّوصل إليه. لتوجيه الرّسائل الإلهيّة بطرق مؤثرة وفعالة. وبالإضافة إلى التّقديم والتّأخير وأغراض الإنشاء البلاغيّة.

كما عقد ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بابًا لظاهرة تكرار الكلام والزّيادة فيه، موضحًا الأغراض البلاغيّة التّي يؤديها هذا التّكرار والزّيادة. من بين هذه الأغراض، تكرار المعنى بلفظين مختلفين بغرض إشباع المعنى والاتساع في الألفاظ، مما يعزز الفهم ويضيف جماليّة إلى النّص. على سبيل المثال، عندما يقول القائل "أمرك بالوفاء وأنهاك عن الغدر"، يكون في الحقيقة يأمر بالشّيء نفسه ولكن بطرق مختلفة للتأكيد والتّوضيح. ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرّحمن: 67]. في هذه الاية النّخل والرّمان من أنواع الفاكهة، ومع ذلك، تم ذكرهما بشكل منفصل عن الفاكهة بشكل عام لتمييزهما بسبب فضلهما وحسن موقعهما. هذا التّكرار والتّفصيل يهدف إلى إظهار أهميّة النّخل والرّمان، ويعطي القارئ شعورًا بجماليّة وتنوع نعم الله في الجنة. يوضح ابن قتيبة أنّ هذه الأساليب البلاغيّة ليست مجرد تكرار بلا فائدة، بل هي أدوات لتأكيد المعاني وتعزيزها في ذهن القارئ، وتقديم النّص القرآني بصورة بليغة وغنيّة.

4. خاتمة: تعتبر دراسة الألفاظ القرآنيّة من خلال كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة من الدّراسات المهمّة التّي تسهم في تعميق فهمنا للنصوص القرآنيّة من منظور بلاغي. يقدم ابن قتيبة في هذا الكتاب تفسيراً دقيقاً للآيات

التّي تحتوي على معاني غير واضحة أو مشكلات لغويّة، ممّا يساعد على إزالة الغموض وتوضيح الأبعاد البلاغيّة والنّحويّة للنصوص.

من خلال هذا العمل، نرى كيف أنّ التّأويل البلاغي يعزز فهمنا للمعاني القرآنيّة ويسهم في تقديم تفسير يتفق مع السّياق الدّيني واللّغويّ. يُظهر الكتاب أيضاً كيفيّة التّعامل مع النّصوص القرآنيّة التّي تحتوي على معاني غامضة أو صعبة الفهم بسبب استخدامها لألفاظ أو تراكيب قد تؤدي إلى لبس أو تعارض ظاهري. التّي تبدو غير واضحة أو تتطلب تأويلاً دقيقاً لتوضيح معانيها الحقيقيّة، والرّجوع إلى التّفاسير والكتب ذات الصّلة لإزالة أي لبس وتوضيح المعاني. قد يكون السّبب في ذلك: التّشابه اللفظي، التّراكيب المعقدة...إلخ

في الختام، يُعَدّ كتاب "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة مرجعاً مهمًّا في مجال البلاغة القرآنيّة، ويعكس الجهود الكبيرة التّي بذلها المؤلف في معالجة قضايا التّفسير والتّأويل. إنّ دراسة الألفاظ القرآنيّة من خلال هذا الكتاب تتيح لنا تقدير دقة البلاغة القرآنيّة وفهم كيفيّة تكوين النّصوص والتّعبير عن المعاني بطرق تُبرز جمال القرآن وعمق معانيه.

قائمة المراجع:

1. أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، ط2، دار الكتب، مصر 1973.

2. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر، ط2 دار التّراث، القاهرة، 1973

3. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المصريّة، مج1.

4. أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت.

5. أحمد محمد نايل، البلاغة بين العهدين في ظل الذّوق الأزلي.

6. الرّاغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، 1982.

7. الشّريف علي بن محمد الجرجاني، التّعريفات، دار الكتب العلميّة، طهران 1306هـ.

8. مجدي وهبه كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ط2 مكتبة لبنان، بيروت، 1984.

9. محمد مندور، النّقد المنهجي عند العرب، دار نهضة، مصر.

5. الإحالات:

[1]– الرّاغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي 1982، ص 40.

[2]– الشّريف علي بن محمد الجرجاني، التّعريفات، دار الكتب العلميّة، طهران، 1306هـ ص 34.

[3]– أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، أساس البلاغة، ط2، دار الكتب، مصر 1973، ص 335.

[4]– أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 406.

[5]– ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتب المصريّة، مج1، ص 16.

[6]– ينظر: محمد مندور، النّقد المنهجي عند العرب، دار نهضة، مصر، ص 21–25.

[7]– أحمد محمد نايل، البلاغة بين العهدين في ظل الذّوق الأزلي، ص 65.

[8]– ينظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: أحمد صقر ط2، دار التّراث، القاهرة، 1973، ص21.

[9]– المصدر نفسه، ص 210.

[10]– المصدر نفسه، ص 212.

[11]– المصدر نفسه، ص 214.

[12]– المصدر نفسه، ص 565.

[13]– المصدر نفسه، ص 567

[14]– المصدر نفسه، ص 568

[15]– المصدر نفسه، ص 575.

[16]– المصدر نفسه، ص 577

[17]– المصدر نفسه، ص 578.

[18]– المصدر نفسه، ص، 572.

[19]– المصدر نفسه، ص 135.

[20]– المصدر نفسه، ص 139.

[21]– المصدر نفسه، ص 140.

[22]– المصدر نفسه، ص 142.

[23]– المصدر نفسه، ص 146.

[24]– المصدر نفسه، ص 256.

[25]– المصدر نفسه، ص، 260.

[26]– مجدي وهبه كامل المهندس، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ط2 مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 111.

[27]– المصدر نفسه، ص 263.

[28]– المصدر نفسه، ص267.

[29]– المصدر نفسه، ص 269.

[30]– المصدر نفسه، ص 106.

[31]– المصدر نفسه، ص 193.

[32]– المصدر نفسه، ص 193.

[33]– المصدر نفسه، ص279.